رحلة الحج . . . تذكرة بالآخرة

الحج رحلة تربوية ورحلة روحية ولا يتعرض لمثلها المسلم طوال حياته تبعد الإنسان عن ملذاته وشهواته وتجعله مقبلاً على الآخرة. رحلة لها بصماتها في شخصية المسلم فيها دروس وعبر وسفره هذا أشبه بسفر الآخرة قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢} [الحج: ١ - ٢].

ويقول أيضاً: في نفس السورة:{وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ۝٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ۝٢٨} [الحج: ٢٧ - ٢٨]، إلى أن قال: { ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ۝٣٢} [الحج: ٣٢]، وقال في الحج:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ} [البقرة: ١٩٧]، قال تعالى في سورة الحج:{لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡ} [الحج: ٣٧]، قال في الصوم سورة البقرة:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ} [البقرة: ١٨٣].

التوبة النصوح: قبل الحج. (قبل الموت) إن الله يقبل توبة العبد المسلم الذي ينوى الحج أول شيء يفعله يتوب إلى ربه من جملة

المعاصي التي كان يرتكبها صغيرها وكبيرها فتراه نادماً على أيام فاتت من عمره وكلها معصية فهذا الأمر يذكر الحاج بالتوبة قبل الموت والندم على ما فاته من أيام عمره.

(العمل للآخرة): الحقوق قبل الحج رد الحقوق قبل الموت.

يقوم الحاج بقطع الصلات التي تربطه بالدنيا فيقوم برد الحقوق إلى أصحابها ويكتب وصيته لأولاده وأهله وعند ذلك يتذكر هذا الحاج قطع العلائق لسفره إلى الآخرة تاركاً الدنيا ولا شئ معه سوى عمله تاركاً كل شئ.

الزاد: نفقة الحاج وماله (عمل الإنسان قبل موته).

الحاج عندما يقصد بيت الله الحرام فيجمع زاده الذي يعينه على مواصلة هذه الرحلة الطويلة فيه خير من الزاد أو فصله ويتعمد ألا يكون زاداً سريع التلف والبوار فيجمع المال الحلال لا عن طريق النصب والاحتيال والمتاجرة في الأشياء المحرمة وهنا يتذكر الحاج زاده في الآخرة فلابد وأن يكون سليماً لا يصيبه عطب الرياء والسمعة وأن يكون كافياً لأن الرحلة ستطول في هذه المرة فيتزود من الأعمال الصالحات.

الراحلة: الدابة (الحمل على الأعناق).

كان الحاج قديماً إذا نوى هذه الرحلة امتطى دابته قاصداً بيت الله الحرام واليوم الحاج يتخير وسيلة سفره فيشكر الله على ذلك وهنا يتذكر الحاج راحلته التي ستحمله وتنقله من الدنيا إلى منازل الآخرة وفي هذه اللحظة يقول الحاج لنفسه: اليوم أصعد هذه السفينة أو الطائرة بإرادتي مودعاً الأحباب وغداً سأحمل رغم أنفي على

الأعناق.

شراء ثوب الإحرام: (ملابس الإحرام الكفن).

يشترى الحاج ثوب الإحرام ذلك الثوب الأبيض اللون الذي يوحي ببياض القلوب وصفائها يقع في قلبه ذكر الكفن فغداً سيشترى ابنه الكفن له وهنا يتذكر الحاج الموت وخاصة عندما يلتف بثوب الإحرام.

الخروج من البلد: الخروج على خشبة الغسل ومغادرة الأهل.

في تلك الساعة التي يغادر فيها الحاج بلده فإن دموعه تنهمر ولا ندرى أهي دمع الفرحة بزيارة بيت الله الحرام أم دموع مفارقة الأهل والأحباب والوطن فهذا المحرم قد طرح كل شئ خلف ظهره تاركاً أولاده وفي هذه اللحظة يخطر بباله لحظة خروجه من دنيا الناس مطروحاً على خشبة مستطيلة وإذا كان هناك الفرح عند بداية المولود فنبغى ان يكون هناك سرور عند موته.

الوقوف أمام بيت الله الحرام: أمام الكعبة (أمام الله).

هنا وفي تلك البقعة التي تعد من أطهر بقاع الأرض يقف الحاج أمام بيت الله الحرام وهو يعرف لهذا البيت حرمته وعظمته وقداسته يقف في خشوع وخضوع وتذلل لله رب العالمين يمتلكه شعور الخوف فهو لا يدرى أتقبل حجته أم لا وفي هذه اللحظة يتذكر لحظة الوقوف أمام ربه للحساب وهو لا يدرى أمن أهل الجنة السعداء أم أهل النار الأشقياء.

(الوقوف بعرفة) عرفة المحشر:

في هذا اليوم شديد الازدحام بضيوف الله على أرض جبل عرفات والناس متفرقة كحبات الحصى يرددون دعاء واحد ويعبدون رباً واحداً ويتوجهون لقبلة واحدة كل إنسان مشغول بأمر نفسه لا يهمه إلا أمره مع ربه فهذا الموقف يذكر الحاج بلحظة الوقوف على أرض المحشر وانشغال الناس بالحساب كل واحد مشغول بنفسه يفر الابن من أبيه ولا يعرف الأخ أخاه.

زيارة روضة الرسول صلى الله عليه وسلم قبر النبي (حوض النبي):

فالحاج عندما يتوجه لروضة المصطفي ليزور نبيه ويأنس به ويعيش أجمل لحظات الوصال ويتزود من روحانيات هذا المكان في تلك اللحظة يتذكر الحاج لحظة الوقوف أمام حوض النبي صلى الله عليه وسلم أمام الكوثر والرسول صلى الله عليه وسلم يسقيه من يده الشريفة ثم شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأمته فالحاج إذا فقه هذا الدرس وطبقه استطاع أن يؤدى رحلته المباركة خير أداء ويعود منها مغفوراً له.

* * *